

الهجرة غير الشرعية للأمهات وأبنائهن - دراسة من منظور تحليلي نفسي-

Illegal Migration of Mothers and Their Children – A Psychoanalytic Perspective Study -
La migration clandestine des mères et de leurs enfants – Une étude dans une perspective
psychanalytiqueزونية لعروس¹*

تاريخ النشر: 2026/03/30

تاريخ القبول: 2025/10/17

تاريخ الإرسال: 2025/09/07

ملخص:

تمثل الهجرة غير النظامية إحدى القضايا الاجتماعية البارزة التي استأثرت باهتمام المجتمع الدولي، إذ شكلت عبر العصور مخرجاً للبحث عن حياة أفضل في ظل انعدام فرص العيش الكريم، غير أنها تحولت من السعي نحو الأمان والاستقرار إلى مسار محفوف بالمخاطر يهدد الحياة ذاتها في هذا العصر، وبينما كان هذا السلوك مقتصرًا في الماضي على فئة الشباب الذكور، فإنه اليوم امتد ليشمل شرائح اجتماعية أوسع، من بينها الأمهات اللاتي يقدمن على خوض هذه المغامرة المصيرية رفقة أبنائهن، ويكشف هذا التحول عن اضطرابات نفسية عميقة ونزوع متزايد نحو المخاطرة الوجودية لدى المهاجرين، كما يعكس هذا التغير انعكاسات بنيوية على الأسرة، إذ تتهاوى الرمزية التقليدية للأم باعتبارها مصدراً للأمان والحماية، لتحل محلها صورة مغايرة للأم المغامرة التي تدفع بأطفالها نحو المجهول.

وبهذا تسعى هذه الدراسة إلى تحليل الأبعاد النفسية لسلوك المخاطرة لدى هذه الفئة، وفهم تداعياته على النسق الأسري وتفكك أدواره التقليدية، مع إيلاء اهتمام خاص بظاهرة هجرة الأمهات وأطفالهن باعتبارها حالة تستوجب تحليلاً نفسياً معمقاً.

الكلمات المفتاحية: الهجرة غير الشرعية - اضطراب الشخصية الحدية - سلوك المخاطرة.

Abstract :

Irregular migration represents one of the most prominent social issues that has captured the attention of the international community. Throughout history, it has constituted an outlet for seeking a better life in the absence of dignified living opportunities. However, in the modern era, it has shifted from being a pursuit of safety and stability to a perilous path that threatens life itself. While this behavior was once limited to young males, it has now expanded to include broader social categories, among them mothers who embark on this fateful journey with their children. This shift reveals profound psychological disturbances and an increasing tendency toward existential risk-taking among migrants. It also reflects structural repercussions on the family, as the traditional symbolism of the mother as a source of security and protection collapses, giving way to an alternative image of the adventurous mother who drives her children into the unknown.

* المؤلف المراسل

¹ Zouina larous, University Mohamed El-Bachir El-Ibrahimi – Bordj Bou Arréridj: Algeria , zouina.larous@univ-bba.dz

Accordingly, this study seeks to analyze the psychological dimensions of risk-taking behavior among this group, and to examine its implications for the family system and the breakdown of traditional roles, with particular focus on the phenomenon of mothers migrating with their children as a case that calls for in-depth psychological analysis.

Keywords Irregular Migration – Borderline Personality Disorder – Risk-Taking Behavior

Résumé :

La migration irrégulière constitue l'un des phénomènes sociaux majeurs qui ont retenu l'attention de la communauté internationale. Elle a représenté, à travers les époques, une issue de recours à la recherche d'une vie meilleure face à l'absence de conditions d'existence dignes. Toutefois, ce phénomène, jadis associé à la quête de sécurité et de stabilité, s'est transformé à l'époque contemporaine en un parcours semé de dangers mettant en péril la vie elle-même. Alors que ce comportement concernait autrefois essentiellement les jeunes hommes, il touche aujourd'hui des catégories sociales plus larges, parmi lesquelles des mères prêtes à s'engager dans cette aventure existentielle avec leurs enfants. Ce basculement révèle des troubles psychiques profonds et une propension accrue au risque existentiel chez les migrants, tout en traduisant des répercussions structurelles sur la famille, où s'effondre la symbolique traditionnelle de la mère en tant que source de sécurité et de protection, au profit d'une image nouvelle de la mère aventurière poussant ses enfants vers l'inconnu.

Ainsi, cette étude vise à analyser les dimensions psychologiques de la conduite à risque au sein de cette catégorie, et à comprendre ses répercussions sur le système familial et la désintégration de ses rôles traditionnels, en portant une attention particulière au phénomène de la migration des mères accompagnées de leurs enfants, considéré comme un cas nécessitant une analyse psychologique approfondie

. **Mots clés** : Migration irrégulière ; Trouble de la personnalité borderline ; Comportement à risque

مقدمة

عرفت البشرية منذ الأزل الهجرة من موطن إلى آخر بحثاً عن ما هو أفضل ، حينما لا يجد الفرد العيش الذي يرضاه، والحياة التي يفتقدها في موطنه، غير أن نظام الهجرة عرف تغيراً جذرياً مع الوقت ، والتغيرات التي عرفتتها البشرية من تطور وزخم التكنولوجيا، وخلفها ما يعرف بالهجرة غير الشرعية التي أصبحت من أكثر الظواهر الاجتماعية التي تشغل الرأي العام الدولي؛ حيث كانت على امتداد التاريخ البشري عبارة عن منفذ طبيعي يلجأ إليه الأفراد للبحث عن ما هو أفضل لهم حينما تضيق بهم سبل العيش في بلدانهم، يأملون في مستقبل مشرق خارج بيئتهم التي ترعرعوا فيها ، لكن هذا النوع من الهجرة أصبح يمثل مسلك الهلاك والمخاطر والبحث في المجهول في عصرنا الحالي فأضحى البحر ومخاطرة طريق العبور نحو ضفة قد لا يصلونها، في سلوك يوصف بالمخاطرة، الذي يعكس شخصية مضطربة تقدم على المخاطرة بحياتها من أجل ركوب المجهول، فبعدما كان هذا السلوك منحصر عند فئة الشباب “الذكور” أصبح

منتشر بين مختلف الفئات بما فيهم الأمهات وأبنائهن يخاطرون بهم في هجرة غير شرعية وغير آمنة ما تعرف بقوارب الموت، حيث أشارت الجهات الأمنية إلى أنه تم إحباط محاولات هجرة 2402 شخصا من بين ديسمبر و25 نوفمبر 2018 مع ارتفاع عدد الإناث والأطفال الصغار على متن هذه القوارب. (رافع، 2018) وهي ظاهرة خطيرة تنمو عن سقوط رمزية الأسرة أين أصبحت الأم التي كانت جدار الأمان وحصن السلام لأسرتها وأبنائها أضحت المجازفة بكل هذه الرمزية والمخاطرة، أمر يستدعي التوقف عنده وتحليل هذه الظاهرة التي ضربت رمزية الأم وتضحياتها إلى ركوب قوارب الموت حيث أظهرت تقارير حديثة أصدرتها المنظمة غير الحكومية الإسبانية "كامندو فرونتيراس" عن أن عام 2024 شهد ارتفاعا غير مسبوق في أعداد الوفيات المرتبطة بمحاولات الهجرة غير الشرعية عبر البحر الأبيض المتوسط، فقد بلغ عدد الضحايا 10457 شخصا بما فيهم أطفال ونساء بمتوسط يومي يصل إلى 30 حالة وفاة، مما جعل هذا العام الأكثر دموية في تاريخ الظاهرة. هذا ما وصفته المنظمة "الأكثر دموية" وما تصدره الصحف عن موت نساء وأطفال متجهين من الجزائر نحو اسبانيا من الجهة الغربية ونحو إيطاليا من الجهة الشرقية، كما جاء في مقال نشره الصحفي محمد لهوازي 2024 في إحدى الصحف الجزائرية أنه "وفي حادثة مأسوية جديدة عثر على جثث أم وأربعة من أطفالها على سواحل ولاية مستغانم غرب الجزائر، بعد انقلاب قارب هجرة كان يقلهم نحو السواحل الاسبانية من الجهة الغربية. واهتز الشارع المحلي في مستغانم للحادثة، وتداولت صفحات جزائرية صور عملية نقل الجثث التي انتشلت من البحر إلى مستشفى المدينة" كما جاء في نفس المقال "تأتي هذه الحادثة المؤلمة بعد أيام من فاجعة أخرى في ولاية بومرداس، شمال وسط البلاد، حين غرق قارب يحمل 32 شخصا، مما أسفر عن وفاة 28 منهم، بينهم امرأة حامل وأطفال قصر". ونفس الأخبار تأتينا يوميا وتتناقل عبر مواقع التواصل الاجتماعي والصحف عن أخبار الهجرة غير الشرعية تحول أمهات وأطفال أو توقيفات من السلطات الجزائرية للقوارب الناقلة للأفراد، حيث جاء في الحصيلة العملاقية للجيش الوطني أنه ولعام 2024 توقيف 29587 مهاجرا غير شرعي من جنسيات مختلفة العام الماضي، كما تم إحباط 221 عملية غير شرعية في فيفري 2025 عبر قوارب تقليدية الصنع، تحمل جميع فئات المجتمع بما فيهم النساء والأطفال (مجلة الجيش) شخصية الأم التي تحمي وتحتضن أبنائها ولا تجازف بهم نحو خطر الموت في عرض البحر غابت هنا وتحولت إلى أم بشخصية حدية مضطربة تغامر بركوب القوارب للعبور للصفة الأخرى بحثا عن السراب .

نحاول في هذه المقال الوقوف على سلوك المخاطرة واضطرابات الشخصية لدى الأم التي تخوض تجربة الهجرة غير الشرعية مع أبنائها والمخاطرة التي تنم عن تمييع الأدوار داخل النسق الأسري، وسقوط رمزية الأسرة دراسة نفسية في ظاهرة الهجرة غير الشرعية لدى فئة الأمهات وأبنائهم ومحاولة الإجابة على التساؤلات التالية:

- هل سلوك المخاطرة المتبع من طرف الأم وليد الشخصية الحدية؟
- هل سقوط رمزية الأسرة أدى إلى تفاقم وانتشار ظاهرة الهجرة غير الشرعية عند الأمهات وأبنائهن؟

1- أهداف الدراسة:

- التعرف على ظاهرة الهجرة غير الشرعية عند الأمهات وأبنائهن.
- التعرف على اضطراب الشخصية الحدية .
- التعرف على النسق الأسري الجزائري وسقوط رمزية

2- أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة فيما يلي:

- إلقاء الضوء على ظاهرة الهجرة غير الشرعية التي انتشرت بين أوساط الأمهات وأبنائهن.
 - إلقاء الضوء على اضطراب الشخصية الحدية وتأثيراته على السلوك الحامل للمخاطر سواء للام أو لأبنائها.
 - الوقوف على سقوط رمزية الأسرة وانعكاساتها على الأسرة الجزائرية.
- قد يفيد هذا العمل بارتقاء نظرة المجتمع لهذه الفئة وهذه الظاهرة والوصول إلى توافق نفسي اجتماعي لدى الأمهات المقبلات على الهجرة غير الشرعية.

3- تحديد مصطلحات الدراسة:

3-1- الهجرة:

3-1-1- لغة:

يعني مصطلح هاجر لغة "المهاجرة من بلد وعنه، أي خرج منه إلى بلد آخر. (المنجد، 2007)

3-1-2- اصطلاحا:

عرف معجم العلوم الاجتماعية الهجرة على أنها ترتبط بالأشخاص والتجمعات السكانية، ومعناها انتقال الأفراد من مكان، ومن بلد لآخر. (البدوي، 1977)

كما يعرفها "إيفرت لي" أنها التغير الدائم أو شبه الدائم لمكان الإقامة دون أن نقيدها بمسافة معينة، وإذا كانت حرة أو إجبارية، داخلية أو خارجية. (يوفير، 1982)

3-1-3- إجراءات :

نقصد بالهجرة في عملنا هذا، هي انتقال الأم و أبنائها من البلد الأصلي إلى بلد آخر، قصد الإقامة الدائمة فيها والبحث عن ظروف أحسن .

3-2- الهجرة غير الشرعية:

3-1-2-3- اصطلاحا:

يعرفها المشرع الجزائري على أنها مغادرة إقليم الوطن بصفة غير شرعية، أثناء اجتيازه أحد مراكز الحدود البرية أو البحرية، أو الجوية، وبذلك بانتحاله هوية أو باستعماله وثائق مزورة أو أي وسيلة احتيال أخرى للتملص من تقديم الوثائق الرسمية اللازمة، أو من القيام بالإجراءات التي توجبها القوانين والأنظمة السارية المفعول، وهي أيضا مغادرة الإقليم الوطني عبر منافذ وأماكن غير مراكز الحدود. (الجريدة الرسمية)

3-2-2-3- إجراءات:

نقصد بالهجرة غير الشرعية في عملنا هذا، هو انتقال الأمهات حاملات معهن أبنائهن في قوارب مصنوعة يدويا أو عالية الجودة مثل "زورق الشبح" من ضفة أوطانهم إلى ضفاف بلدان أخرى.

3-3- الشخصية الحدية:

يعرف اضطراب الشخصية الحدية في الدليل التشخيصي والإحصائي الخامس للاضطرابات النفسية (DSM-5) بأنه "نمط دائم من عدم الاستقرار في العلاقات الشخصية، وصورة الذات، والانفعالات، يرافقه اندفاعية ملحوظة تبدأ في أوائل مرحلة البلوغ وتظهر في سياقات متعددة.. (American Psychiatric Association, 2013)

حسب هوفمان وزملائه، يتمثل الاضطراب في "حساسية مفرطة تجاه الرفض، تقلبات عاطفية حادة، وسلوكيات اندفاعية قد تصل إلى إيذاء الذات أو التهديد به. (Hofmann et al., 2020)

ويرى غونديرسون أن هذا الاضطراب يعكس "خللا في تنظيم الانفعالات وصعوبات في بناء هوية متماسكة، مما يؤدي إلى علاقات غير مستقرة وتفاعلات متوترة مع الآخرين" (Gunderson, 2011).

3-4- سلوك المخاطرة:

سلوك المخاطرة هو الانخراط في أفعال تنطوي على احتمال فقدان أو ضرر بدني أو نفسي أو اجتماعي، مقابل إمكانية تحقيق مكاسب آنية (Byrnes, & Schafer, 1999).

كما يشير سلوك المخاطرة إلى تصرفات يقوم بها الفرد رغم إدراكه لعواقبها السلبية المحتملة، مدفوعا بالرغبة في الإثارة أو المكافأة (Steinberg, 2008).

ويعرف بأنه نزعة معرفية - انفعالية مرتبطة بالمراهقة والشباب، حيث يسعى الفرد إلى اختبار حدود قدراته عبر مواقف محفوفة بالمخاطر. (Gardner & Steinberg, 2005)

4- الهجرة غير الشرعية عند الأمهات وأبنائهن:

تعتبر الهجرة غير الشرعية من أبرز الظواهر الاجتماعية المعاصرة التي استأثرت باهتمام الباحثين وصانعي السياسات على حد سواء، بحيث ارتبطت هذه الظاهرة تاريخيا بالشباب الذكور الباحثين عن فرص اقتصادية أفضل في ظل انعدام العدالة الاجتماعية وتفاقم البطالة، غير أنها مع مرور الوقت تجاوزت هذا الإطار لتشمل فئات أكثر هشاشة، من بينها النساء والأمهات وأطفالهن. هذا التوسع الديمغرافي يكشف عن تحولات بنيوية عميقة في المجتمع والأسرة، ويضعنا أمام مقارنة جديدة تتطلب فهم الأبعاد النفسية والاجتماعية المرافقة لهذه الظاهرة (Castles, & Miller, 2014).

4-1- البعد الأسري للهجرة غير الشرعية

من منظور أسري، يمثل انخراط الأمهات في مسارات الهجرة غير النظامية نقطة تحول لافتة. فالأم التي ارتبطت رمزيا بوظيفة الحماية والرعاية أصبحت في بعض السياقات الاجتماعية والاقتصادية الفاعل المباشر في المغامرة، وهذا التحول يعكس من جهة هشاشة التماسك الأسري وتآكل الأدوار التقليدية، ومن جهة أخرى إدراكا لدى الأم بأن مستقبل أطفالها مرهون بتجاوز الحدود السياسية والجغرافية مهما كانت المخاطر، إن هذه الدينامية تكشف عن إعادة تشكيل النسق الأسري في ظل العولمة والهشاشة الاقتصادية. (Suárez, 2001)

4-2- الأبعاد النفسية لقرار الأم بالهجرة

من زاوية التحليل النفسي، يمكن النظر إلى قرار الأم بالهجرة غير الشرعية باعتباره تعبيراً عن صراع داخلي بين غريزة الحياة ورغبتها في تأمين مستقبل أفضل لأبنائها، وبين غريزة الموت التي تظهر في القبول الضمني بالمخاطرة بحياتها وحياة أطفالها (Freud, 1990) وهذه المفارقة تترجم حالة من الإحباط الوجودي، حيث تفشل البيئة الاجتماعية في توفير بدائل مشروعة، فيصبح الفعل الانتحاري الجماعي (ركوب قوارب الموت) تعبيراً رمزياً عن البحث عن حياة جديدة أو الفناء.

تظهر دراسات نفسية أن مثل هذه القرارات تتأثر بآليات دفاعية لاواعية، مثل الإنكار (التقليل من خطورة الرحلة)، والتبرير (إقناع الذات بأن الموت في البحر أفضل من الموت في الفقر)، والإسقاط (إلقاء مسؤولية المعاناة على المجتمع أو الدولة)، وكل هذه الآليات تكشف عن هشاشة البنية النفسية للأم المهاجرة، وعن صعوبة قدرتها على موازنة الصراع بين الأمومة والمخاطرة. (Papadopoulos, 2007, p. 305)

4-3- الانعكاسات النفسية على الأطفال

تشكل تجربة الهجرة غير الشرعية صدمة نفسية عميقة للأطفال الذين يشاركون أمهاتهم هذه الرحلة، فالأبحاث تشير إلى أن الأطفال اللاجئين أو المهاجرين قسراً أكثر عرضة للإصابة باضطرابات القلق، الكوابيس، الخوف المستمر، وصدومات ما بعد الصدمة. (Fazel, & Stein, 2012) وهذه الاضطرابات لا تنعكس فقط على نموهم الانفعالي، بل قد تؤثر أيضاً على تكوين هويتهم النفسية والاجتماعية، إذ يعيش الطفل تجربة مبكرة من فقدان الأمان الأسري الذي يفترض أن توفره الأم.

كما أن التحول الرمزي في صورة الأم - من كونها مصدر الحماية إلى "أم مغامرة" - يولد لدى الطفل تناقضاً معرفياً وانفعالياً قد يضعف من قدرته على بناء علاقات آمنة مع الآخرين لاحقاً، فغياب الاستقرار في مرحلة الطفولة المبكرة قد يترك بصماته على النمو النفسي والاجتماعي للطفل مدى الحياة.

4-4- إعادة تشكيل صورة الأم داخل النسق الأسري

إن أخطر ما تبرزه هذه الظاهرة هو انهيار الرمزية التقليدية للأم داخل الأسرة، ففي التحليل النفسي للأسرة، تمثل الأم محور الحماية والحنان والاتصال الأولي بالعالم الخارجي غير أن انخراطها في رحلة محفوفة بالمخاطر مع أبنائها يقلب هذه الصورة رأساً على عقب، فتصبح الأم في وعي الأبناء هي التي عرضتهم للخطر، رغم أن دافعها الأساسي هو حمايتهم، وهذا التناقض يولد لدى الأطفال ارتباكاً في التمثل النفسي للأمومة، قد يؤدي إلى اضطرابات في بناء الثقة والارتباط العاطفي على المدى الطويل.

5- اضطراب الشخصية الحدية:

يبرز اضطراب الشخصية الحدية كأحد العوامل النفسية العميقة المؤثرة في سلوكيات المجازفة الخطيرة في سياق التحليل النفسي لظاهرة الهجرة غير الشرعية، هذا الاضطراب يشكل تحديا كبيرا للتوازن النفسي والاجتماعي، حيث يظهر عبر تشوهات إدراكية وانفعالية حادة تمس جوهر الهوية الذاتية وطبيعة العلاقات البينشخصية، تكتسب هذه الإشكالية أبعادا أكثر خطورة عندما تتجسد في سلوكيات أمهات يقدمن على مخاطرة وجودية بأطفالهن. يعد اضطراب الشخصية الحدية أحد الاضطرابات النفسية التي تؤثر على الطريقة التي يفكر بها الشخص ويشعر بها تجاه نفسه والآخرين، مما يؤدي إلى سلوكية غير مستقرة وصعوبة في العلاقات الشخصية يتميز هذا الاضطراب بتقلبات عاطفية حادة وخوف شديد في الهجر ما يؤثر على حياة الفرد وعلى المحيطين به، وهو ما ينطبق على فئة الأمهات اللاتي يغامرن بأبنائهن ويحملنهن إلى المجهول وإلى خطر الموت غير مدركات لما هن مقبلات عليه من موت والعبور نحو المجهول يفقد الطفل فيه حقوق رعايته وتمدرسه والعناية به كما تنص عليه التشريعات .

حسب: DSM-5 هو نمط شامل من عدم الاستقرار في العلاقات مع الآخرين ، في صورة الذات وفي الوجدان والاندفاعية الواضحة، والذي يبتدىء من البلوغ الباكر و يبتدىء في العديد من السياقات (الحمادي، 2022)

اضطراب الشخصية الحدية (BPD) ويعرف أيضا باسم اضطراب الشخصية غير المستقرة عاطفيا وهو مرض عقلي يتميز بنمط طويل الأمد من العلاقات غير المستقرة والشعور المشوه بالذات وردود الفعل العاطفية القوية .غالبا ما يؤدي إلى إيذاء النفس والسلوكيات الخطيرة الأخرى .قد يعاني المتأثرون أيضا من الشعور بالفراغ والخوف من الهجر والانفصال عن الواقع . والاختلال العاطفي والاندفاع هما جوهر الاضطراب .(محمود، يونس، 2021)

كما يمكن تعريفه على انه مرض نفسي وهو من انواع اضطرابات الشخصية يتسم بصعوبة التحكم بالعواطف والانفعالات وتقلبات المزاجية، وكذلك مشاكل تتعلق بنظرة الشخص لنفسه، والسلوك الاندفاعي، تؤثر هذه السمات على حياة الشخص اليومية وعلاقته الشخصية والاجتماعية، وتسبب شعورا دائما بعدم الاستقرار وانعدام الامان. (جمانة السيد، 2023)

5-1- أنواع اضطراب الشخصية الحدية:

يوجد العديد من التصنيفات لأنواع اضطراب الشخصية وتعتبر هذه التصنيفات فرعية. (بن شعلال، 2022)

قام Daniel Fox 2019 بعرض مفصل للفروع الأربعة التي حددها Million 1996 وهي كالآتي:

● **المحبط:** يميل هؤلاء الأفراد إلى الصعوبة في اتخاذ قراراتهم، لديهم الحاجة إلى البقاء حول الآخرين، كما لديهم غضب داخلي شديد الذي يؤدي إلى الانفجار، وتكون رده أفعالهم كأنهم مجبرين للدفاع عن أنفسهم وخاصة عندما لا يتم الاستماع لهم.

● **الاندفاعي:** يتميز بالسلوك الاغرائي يميل الى التركيز على سطح الانتباه بدون تعمق في أي قضية، لديه طاقة عالية ولكنه يفقد الاهتمام بالأشياء والأشخاص بسهولة يتصرف دون تفكير لا يعرف ما سيفعله في الخطوات المقبلة، وهي الشخصية التي لا تدرس المخرجات لتصرفاتها وتندفع نحو المجهول ليست وحدها فقط بل تأخذ معها من تحت رعايتها وكفالتها أبنائها نحو ضفة بلد آخر بركوب المخاطر وطرق غير قانونية قد تصل إلى حد الهلاك مع أطفال لا ذنب لهم، سوى أنهم بين أيدي أمهات مندفعات نحو المجهول.

● **النكدي:** هو شخص لا يمكن تحمله، لديه السرعة في التعبير عن انزعاجاته، وعدم الرضا، ويجد صعوبة في انتظار دوره، يسهل إحباطه، يرى أن العالم مؤلم وسلب.

● **المدمر للذات:** قد يكون الفرد متواضعا في إحدى الحالات، ثم غير مرن في المرات التالية، يميل بأن يكون مترددا بشأن معظم الأشياء يتصرف دون تفكير في العواقب، قد يؤذون أنفسهم جسديا بطريقه انسحابيه وسلبيه، وهي شخصية تدمر ذاتها وتؤثر على من حولها خاصة أبنائها في سلوك مجازفة بهم وبطفولتهم، حيث أشارت مصادر أمنية جزائرية أن انتشار ظاهرة الهجرة غير الشرعية عند فئة الأمهات مع أبنائهم بدأت تعرف معدلات غير مسبوقه منذ سنة 2017-2018 وعرفت ارتفاعا إلى غاية 2025 وصل فيه عدد الوفيات إلى 10457 في البحر الأبيض المتوسط بمتوسط يصل إلى 30 حالة وفاة يوميا، معظمهم لا يتم العثور على جثثهم الغارقة بما فيهم نساء وأطفال. (رافع، 2018)

المتفحص في كل هذه الأشكال يجدها فقط تفصيل للسمات العامة المدرجة، ولكنها استطاعت أن تعطي لنا بعض الأوصاف التي تحدد تصنيفا دقيقا للاضطراب كما قد ساهمت في إيجاد سلاله وإختبارات نستطيع من خلالها وضع تشخيص توكيدي للاضطراب. (بن شعلال، 2022)

5-2- خصوصية سلوك المخاطرة في اضطراب الشخصية الحدية: منظور تحليلي نفسي

يتميز سلوك المخاطرة لدى المصابين باضطراب الشخصية الحدية (BPD) بسمات نوعية تجعله ظاهرة إكلينيكية فريدة، تختلف جوهريا عن أنماط المجازفة لدى الأصحاء أو لدى المصابين باضطرابات نفسية أخرى. وتتجلى هذه الخصوصية من خلال عدة أبعاد:

- **الدافع الوجودي:** تنبع المخاطرة في BPD من أزمة هوية عميقة، حيث تستخدم كآلية لمواجهة الشعور بالفراغ الوجودي والانفصال عن الذات، مما يجعلها أكثر من مجرد سلوك اندفاعي، بل محاولة لاختبار الحدود بين الوجود والعدم.

- **الطابع التناقضي:** تتسم المخاطرة بتعارض جوهري بين السعي اليائس للبقاء (من خلال لفت الانتباه أو طلب المساعدة) ونزوع ماسوشي نحو التدمير الذاتي، مما يخلق نمطا سلوكيا متناقضا يصعب تفسيره بالمنطق التقليدي.

- **الارتباط بالعلاقات الموضوعية:** تظهر المخاطرة غالبا في سياق علائقي، إما كرسالة استغاثة لأشخاص مهمين، أو كعقاب ذاتي متخيل نتيجة هواجس الهجر، مما يعكس التشوه المعرفي المميز للاضطراب.

- **التأرجح الزمني:** تتميز بالانتقال المفاجئ بين التخطيط التفصيلي للمخاطرة (كالهجرة غير الشرعية) والتنفيذ العشوائي، مما يعكس عدم الاستقرار في الوظائف التنفيذية والإدراك الزمني.

- **الاستجابة للتدخلات:** تختلف استجابة هذه السلوكيات للعلاج، حيث تتطلب مقاربات متخصصة مثل العلاج الجدلي السلوكي (DBT) لمعالجة الجذور الانفعالية بدلا من التركيز على السلوك الظاهر فقط. (أحمد، 2023)

هذه الخصائص تجعل من المخاطرة في BPD ظاهرة معقدة تتجاوز النماذج التفسيرية التقليدية، وتستدعي فهما ديناميكيا لعلاقتها بالصورة الذاتية المشوهة والاضطراب في التنظيم الانفعالي الذي يمثل السمة الجوهرية لهذا الاضطراب.

تأسيسا لما سبق ومن خلال المرور على اضطراب الشخصية الحدية نجد أن الأم التي تقدم على مثل هكذا، مجازفة ومغامرة تصل حد المغامرة بأبنائها، والمرور بهم عبر مسالك خطيرة عرض البحر، فإن اضطراب الشخصية الحدية لدى الأم وما يسببه لها من علاقات غير مستقرة والشعور المشوه بالذات وتزامنه مع ردود عاطفية متقلبة، يؤدي إلى إيذاء النفس مع الخوف من الهجرة يحملها إلى أخذ أبنائها معها ما يعرضهم جميعهم إلى الخطر وفرضية عدم الوصول إلى الضفة الأخرى، ومن هنا نخلص إلى أن سلوك المخاطرة المتبع من طرف الأم وليد الشخصية الحدية.

بالإضافة إلى اضطراب الشخصية الحدية التي ساهمت في سلوك المخاطرة لدى الأم، هناك سقوط رمزية النسق الأسري الذي يمثل دعامة اجتماعية ويعمل على تماسكها ضد التيارات المختلفة التي تشكل تهديدا أمام وحدتها، ساعد على انتشار مثل هكذا ظواهر بين فئات المجتمع الجزائري بما فيهم “رمزية الأم” التي تمثل لبنة أساسية في هذا النسق الأسري ودعامة ثابتة في المحافظة على الأسرة بكل أنساقها، وبالتالي تغيرت غريزة الأمومة وأصبحت تجمع إلى الاندفاعية وتدمير الذات وتنزع نحو رفع الحماية على أطفالها والزج بهم في المخاطر التي قد تسبب لهم أضرارا، و تغامر بهم في عرض البحر ومخاطره، وهي ظاهرة دخيلة على الأم الجزائرية التي عهدناها بالمحافظة على أسرته والحامية لأبنائها من كل التيارات المهدمة لذات وشخصية أبنائها. نحاول معرفة الأسباب التي أدت إلى تغيير رمزية النسق الأسري الجزائري.

6- الأسباب التي أدت إلى تغيير رمزية النسق الأسري الجزائري:

تتعدد الأسباب وتختلف نحاول أن نلخص أهم الأسباب التي نراها تشكل تغير بارز في النسق الأسري الجزائري.

6-1- الظروف الأمنية كعامل للتغير في وحدة النسق الأسري:

إن التغيرات الجذرية التي شهدتها الأسرة الجزائرية بعد العشرية السوداء والظروف الأمنية التي مرت بها الأسرة، كان لها الأثر البالغ في تحول المسارات المعاشية وعلى وجه الخصوص تحولات كبيرة في البنى الاجتماعية والنفسية للأسرة وما ألحقته بالأنساق الاجتماعية، من بينها النسق الأسري الذي تعرض لبعض التغيرات في شكل الأسر من حيث الحجم والتكوين وفي شكل علاقاتها الاجتماعية وأنماطها، أين أصبح الرجل مهددا بالقتل مما اضطره إلى التواري عن الأنظار. وتحملت المرأة عناء المسؤولية وأعباء الحياة، وظهرت الكثير من السلبيات التي أثرت على بناء النسق الأسري وتماسكه، مثل “ ظهور الأسرة النووية وغياب الأسرة الممتدة واهتزاز رمزية الرجل والأب في الأسرة، وثقلت الأعباء على الأمهات واضطرارهن إلى الخروج للعمل والتكفل بالأسرة والأبناء حينما كثر تقتيل الكفاءات والكوادر، أصبح الرجال في حالة فرار واختباء، وتحمل مسؤولية الأسرة المرأة التي أجبرتها الظروف القاهرة إلى الهجرة إلى حواف المدن بحثا عن الأمان لها ولأسرتها، ظهرت معها فكرة الهجرة غير الشرعية أملا في المعيشة الهنيئة، والراحة النفسية.

(Elshenawy,2017)

وهي ظروف أدت إلى اختلالات في المنظومة الأسرية ونسقتها، ما طغى للسطح تغيرات جذرية في القيم والتقاليد السائدة في النسق القديم.

6-2- خروج المرأة للعمل:

عرفت الأسرة الجزائرية كباقي دول العالم العربي خروج المرأة للعمل وتقمص أدوار غيرت مسارات النسق الذي كانت فيه من خلال اقتحام مناصب كانت لوقت قريب حكرا على الرجال، ما أدى إلى اهتزاز منظومة النسق الأسري واهتزاز الأدوار داخل الأسرة الواحدة، وتزايد عدد النساء في القوى العاملة، وتحول في الأدوار التقليدية للجنسين، حيث اضطلع عدد أكبر من النساء بدور المعيل الأساسي ومقدم الرعاية للأطفال. ما أدى إلى اهتزاز صورة الزوج في الأسرة وغياب الأدوار بين الجنسين (لعروس، 2016)

6-3- انتشار ظاهرة الطلاق:

أدى انتشار ظاهرة الأسرة النووية إلى انتشار معها ظاهرة الطلاق حيث أكدت الإحصاءات التي نشرها الديوان الوطني للإحصاء حيث تجاوزت 33 بالمئة مع تسجيل 240 حالة طلاق يوميا، فقد بلغت حالات الطلاق في سنة 2024 حوالي 93.400 حالة وهو مؤشر خطير ينبئ بتفكك وحدة ونسق الأسرة، مما يؤدي إلى تراجع القيم الأسرية، وانتشار ظواهر غريبة عن النسق الاجتماعي للبيئة الجزائرية، منها ظاهرة الهجرة غير الشرعية التي تبنتها عديد الأمهات في رحلة البحث عن الحياة الأفضل حاملة أبناءها إلى مصير غامض محفوف بالمخاطر وانحلال القيم والثقافة الجزائرية في ظل الهجرة إلى بيئة مخالفة لما هو سائد في المنظومة الجزائرية.

6-4- هاجس العولمة وانتشارها :

أدت العولمة والتسارع التكنولوجي الذي شهدته السنوات الأخيرة إلى غزو البيوت ما أدى إلى فقدان الروابط التفاعلية للمجتمع الجزائري، و مزج الثقافات والقيم الأسرية المختلفة التي اضمحلت معها الأنساق التقليدية المعروفة في البيئة الجزائرية، وأدت هذه العولمة إلى تآكل القيم الأخلاقية بين الأسرة الجزائرية مع غياب الحوكمة في تسييرها وضبط أوقات التعامل بها، أحدثت شرخا في الأنساق الاجتماعية مما أثر على القيم والعادات الأخلاقية في النسق الأسري، ما خول للكثير البحث عن البدائل التي تسوق لها تكنولوجيا الغرب ووقوع الأم في فخ التفكير في الهجرة غير الشرعية ووضع حياتها وحياة أطفالها تحت رحمة المهربين، وتتبع طريقا محفوفا بالمخاطر قد تصل إلى الضفة الأخرى لكن تفقد مع وصول أبنائها في بيئة مغايرة، وقد تقف الحياة في منتصف البحر في زوارق لا تخضع للمعايير المعمول بها في الصنع، ما يكون سببا في غرقهم وهلاكهم، في حالة نجاتهم من الوقوع بين يدي حراس السواحل .

كل هذه الشواهد تؤكد إلى حد كبير المشاكل التي تدفع الأم الجزائرية بركوب قوارب الموت مع أبنائها، أملا في النجاة والخروج من عنق الزجاجة، قد تصل إلى الضفة الأخرى وفي كثير من الأحيان تفقد حياتها وحياة أبنائها، ولما كان بناء الأسرة وتماسكها من العوامل المهمة في إنجاح عمليات التنشئة الاجتماعية السوية للأسرة وللابناء فإن أي اهتزاز لأركان هذا النسق يؤدي إلى سلسلة من الاختلالات في الأنساق الأخرى.

وتأسيسا لما سبق يمكن أن نخلص إلى أن سقوط رمزية الأسرة أدى إلى تفاقم وانتشار ظاهرة الهجرة غير الشرعية عند الأمهات وأبنائهن.

خاتمة

في ختام هذه الورقة البحثية، يمكن القول إن ظاهرة الهجرة غير الشرعية لدى الأمهات وأبنائهن في الجزائر قد تجاوزت كونها مجرد هروب من الواقع الاقتصادي أو الاجتماعي الصعب، لتصبح انعكاسا لأزمة نفسية واجتماعية عميقة تتجلى في اضطراب الشخصية الحدية لدى الأمهات، وسقوط رمزية النسق الأسري التقليدي. فقد كشفت الدراسة أن سلوك المخاطرة الذي تقوم به الأمهات بحمل أبنائهن في رحلات محفوفة بالمخاطر عبر قوارب الموت، ليس سوى تعبير عن اضطراب نفسي يتميز بعدم الاستقرار العاطفي، والخوف من الهجر، والاندفاعية المدمرة، مما يجعلهن يتخذن قرارات غير عقلانية تعرض حياتهن وحياة أطفالهن للخطر.

كما أبرزت الدراسة أن تآكل النسق الأسري الجزائري بسبب عوامل متعددة، مثل الظروف الأمنية التي مرت بها البلاد (كالعشرية السوداء)، وخروج المرأة للعمل، وانتشار الطلاق، وتأثير العولمة، قد ساهم في تفكك الأسرة وفقدانها لوظيفتها الحامية. فلم تعد الأم ذلك الرمز الحاضن الآمن، بل تحولت في بعض الحالات إلى شخصية مضطربة تنزع نحو المجازفة بأبنائها بحثا عن واقع افتراضي قد لا تدركه أبدا. وتشير الإحصائيات المذكورة إلى خطورة هذه الظاهرة، حيث ارتفعت أعداد الضحايا من النساء والأطفال بشكل غير مسبوق، مما يستدعي تدخلات عاجلة على مستويات عدة (نفسية-اجتماعية-اقتصادية-توعوية) من خلال برامج دعم واستراتيجيات علاجية تعزز التماسك الأسري، والتكفل النفسي بذوي الاضطرابات، والأهم هو وضع برامج ودورات أساسية ملزمة لتبني مبدأ اختيار شريك الحياة وفق معايير تراعي البنى النفسية والاجتماعية وتتماشى وأعراف وقيم المجتمعات المسلمة، لمحاربة ظاهرة دخيلة على مجتمعاتنا مهددة لقواعد وأسس تركيبته الاجتماعية القائمة على تماسك ووحدة الأسرة .

أخيراً، تبقى هذه الظاهرة جرس إنذار ينبغي أن يحظى باهتمام أكبر من الباحثين وصناع القرار، فالحفاظ على الأسرة يعني الحفاظ على نواة المجتمع، واستقرارها يعني استقرار المجتمع بأسره. ولا بد من دراسات مستقبلية أعمق لتحليل الجوانب النفسية والاجتماعية لهذه الظاهرة، ووضع استراتيجيات فعالة لمواجهةها قبل أن تتحول إلى مأساة إنسانية دائمة.

قائمة المراجع باللغة العربية :

- أمبارك رافع.(2018)، واقع الهجرة غير الشرعية دراسة المفاهيم الأسباب والآثار، مجلة قضايا معرفية، المجلد 01، العدد 01-جان-2018)، جامعة باتنة، الجزائر.

2-مجلة الجيش

3- المنجد في اللغة والإعلام.(2007)، منشورات دار الشرق، ط 42، بيروت، لبنان.

4- زكي بدوي.(1977)، معجم العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، لبنان.

5- يوفير ليونو آخرون.(1982)، الهجرة الدولية، ماضيها حاضرها ومستقبلها، عمان، الأردن.

6- الجريدة الرسمية.(2009)، العدد 15، الصادرة يوم 08 مارس 2009.

7- أنور الحمادي 2022، معايير DSM 5 الناشر د أنور الحمادي

8- جمانة محمد رمضان السيد.(2023). اضطراب الشخصية الحدية لدى عينة من الشباب مدمني المخدرات، مجلة بحوث في الخدمة الاجتماعية التنموية، جامعة بني سويف، مجلد 5، عدد 1

9- امال فاسي بن شعلال. (2022). اضطراب الشخصية الحدية بين عدم الاستقرار الانفعالي والعائلي وعلاقته ببعض الاضطرابات النفسية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد لمين دباغين، المجلد 33، عدد 4، الجزائر

10- أمبارك رافع.(2018). واقع الهجرة غير الشرعية دراسة المفاهيم الأسباب والآثار، مجلة قضايا معرفية، المجلد 01، العدد 01-جان-2018)، جامعة باتنة، الجزائر.

11- امال فاسي بن شعلال. (2022). اضطراب الشخصية الحدية بين عدم الاستقرار الانفعالي والعائلي وعلاقته ببعض الاضطرابات النفسية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد لمين دباغين، المجلد 33، عدد 4، الجزائر

12- محمود يونس أحمد. (2023). اضطراب الشخصية الحدية، كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، مصر .

13- لعروس زينة. (2016). المرأة المصابة بالقلق بين العلاج التقليدي والعلاج النفسي المعاصر، أطروحة دكتوراه في علم النفس، جامعة أبو القاسم سعد الله بوزريعة الجزائر 02، الجزائر.

14- الديوان الوطني للإحصاء

قائمة المراجع باللغة الأجنبية:

- 15- American Psychiatric Association. (2013). Diagnostic and statistical manual of mental disorders (5th ed., p. 663).
- 16- Castles, Stephen., de Haas, Hein., & Miller, Mark. J. (2014). *The age of migration: International population movements in the modern world* (5th ed.). Palgrave Macmillan
- 17- Elshenawy, Ahmed Abdel. 2017. Globalization's Effect on Qatari culture. Journal of Cultural Studies 2QATARE.
- 18- Fakir Al Gharaibeh; Islam, M. RezaulJournal of Globalization Studies. Volume 15, Number 1 / May 2024. .
- 19- Fazel, Mina., Reed, Ruth., Panter-Brick, Catherine., & Stein, Alan. (2012). Mental health of displaced and refugee children resettled in high-income countries: Risk and protective factors. *The Lancet*, 379(9812), 266–282.
- 20- Gunderson, John. (2011). Borderline personality disorder. *The New England Journal of Medicine*, 364(21), 2037–2042
- 21- Hofmann, Stefan Gerald; Schulz, Stefan Michael; Heering, Sabine; Muench, Fred; & Bufka, Leah Florence. (2020). Emotion regulation and borderline personality disorder. *Cognitive Therapy and Research*, 44(5), 995–1007
- 22- Papadopoulos, Renos. (2007). Refugees, trauma and adversity-activated development. *European Journal of Psychotherapy and Counselling*, 9(3), 301–312.
- 23- Suárez-Orozco, Carola., & Suárez-Orozco, Marcelo. (2001). *Children of immigration*. Harvard University Press.